ولكن لاظهار صدق الشعور ولا خير في المرء لا يشعرُ
أعلمكَ الدينَ لا للخرافة م بل للكمال الذي يضمرُ
أعلمك الدين لا للتعصُّب م بل للسلام الذي ينشرُ
أعلمك الدين لا للتظاهر م بل للصلاح الذي يُستَرُ

فيا ولدي عش لنا زهرةً وحبلُ حياتك لا يقصرُ
فانَّ البنين ثمار القلوب ولا خير في الغصن لا يثمرُ

الزَّبْزَب او التُّفَّة او عَناق الارض

مقالة علميَّة تاريخيَّة لغويَّة انتقاديَّة ادبيَّة للاب انستاس الكرملي

١ (ورود هذه اللفظة في التاريخ) جاء في تاريخ الكامل لابن الاثير (٨ : ٣٣ من طبعة سنة ١٣٠٣) ما نصُّهُ : في هذه السنة ٥٣٠٤ (٩١٦ م) في الصيف خافت العامَّة ببغداد من حيوان كانوا يسمُّونهُ الزَّبْزَب ويقولون انهم يرونهُ في الليل على سطوحهم وانهُ يأكل اطفالهم وربَّما عضَّ يد الرجل وثدي المرأة فقطعها وهرب بهما فكان الناس يتحارسون ويتراءون ويضربون بالطبول والصواني وغيرها ليفزعوهُ فارتجَّت بغداد لذلك ثم ان اصحاب السلطان صادوا ليلةً حيوانًا اياق بوادٍ قصير اليدين والرجلين. فقالوا: هذا هو الزبزب وصلبوهُ على الجسر فسكن الناس (١. وهذه

١) قد اختلفت الروايات في ايراد نصّ ابن الاثير: فمن ذلك رواية حياة الحيوان الكبرى فقد روى «اسطحتهم» عوض سطوحهم. و«يد المرأة» عوض ثدي المرأة. و«فيقطعهما» عوض فقطعها ولم يذكر «هرب بهما». وقال: «وكان الناس يتحارسون منهُ ويتراءون ويضربون بالطسوت» بدلًا من النص الذي اوردناهُ. وقد نقل صاحب دائرة المعارف هذا الكلام عن الدميري لا عن ابن الاثير. وفائدة جمع الروايات عظيمة. فاذا ثبت مثلًا ان نص الدميري كان في الاصل «أسطحتهم» اتَّضح ان هذا الجمع فصيح. وفي نسختنا «اسطحة» ايضًا. وسوف نتكلَّم عن نسختنا بُعيد هذا. وكذلك جاءت رواية الاسطحة في كلام الدميري عن الضفدع فقد قال هناك: «يُظن انهُ يقع من السحاب لكثرة ما يرى منهُ على الاسطحة عقب المطر والريح» وهكذا وردت ايضًا في نسختنا» فاذا صح ذلك لم يبق وجهٌ لاعتراض الشيخ ابراهيم اليازجي اذ قال في الضياء (١ : ٦١٠) «السطح وجمعهُ على اسطحة واساطح وهذا الثاني جمع الجمع هو من

دابّة تسمّى طيرة واصاب اللصوص حاجتهم لاشتغال الناس عنهم » . اه حرفه

وفي سنة ١٢٧١ هـ (١٨٥٤ م) وكان عمر كاتب هذه السطور ثماني سنوات وقع في بغداد مثل هذا الاضطراب وكان الخبر قد شاع في الصيف وما كان الناس يستطيعون ان يغتمضوا اجفانهم ففي كل بيت كان واحد يسهر على التناوب مع اهل الدار خوفاً من ان يأتي الزبزب ويفترس واحداً من النائمين . ومضى صيف تلك السنة والناس تضرب الى الصبح على الطشوت والقدور وآنية النحاس على انواعها تنبيهاً للغافلين وتخويفاً للدابة المذكورة والبغداديون يزيدون خوفاً بما يروونه على اسماعهم بعض الذين يقولون انهم رأوه . ثم لما اقبل الشتاء قالوا: فرّ الزبزب من وجه الناس طالباً جبال بلاد فارس . ولم يتحقّق احد اذا كان الامر صحيحاً

على ان حكاية الزبزب لا زالت حيّة على أفواه الجميع من يهود ونصارى ومسلمين وكل واحد يصفهُ باوصاف غريبة ترجع كلها الى قصر الارجل والايدي والى بياض يعلو ظهرهُ والى ان جلدهُ صفيق كجلد الخنزير الى غير ذلك . ومن الغريب ان اهل البادية يعرفونهُ ايضاً ويسمّونهُ باسماء مختلفة تختلف باختلاف القبائل كما سترى

٢ (قتل زبزب) شاع في شهر تشرين الاوّل من السنة الماضية ١٩٠٩ في ارض صدر المسعودي (١ ان قد ظهر في الليل الزبزب فوقع فزع في صدور الجميع ولاسيما النساء فلم يستطع احد ان يغمض عينيه . وكان يخرج في كل ليلة مقدار اربعين من شجعان الرجال وبايديهم البنادق الحديثة الوضع برصاص ضخم يفتك فتكاً ذريعاً وهم يعسّون الليل كأنهُ في البساتين لينفضوها من هذا الضيف الهائل . وما زالوا على هذه الحالة حتى اليوم ١١ من شهر تشرين الثاني وبينما كان احد رعياننا من

اغلاط العامّة » . فاذا صح جمع السطح على اسطحة فجمع جمعهِ على اساطح صحيحٌ لا غبار عليهِ مثل أسنية وأساقي

واما « تراعى » فانهُ لم يُذكر في كتب متن اللغة الّا انهم قالوا راعى فثبت بذات الوقت تراعى . واما تراعَق فلم يرد في دواوين لغتهم بل ولا زاعق . فاذا ثبت ورودهُ وصحّ كان من المستدركات وممّاهُ يصيح بعضهم على بعض طرداً للنوم . — ومن هنا ترى منفعة جمع الروايات المختلفة الواردة في الكتب الخطيّة المختلفة بوجب قدمها والمقابلة بينها

١) المسعودي اسم نهر كان يصبّ في دجلة بين بستان الاباء الكرمليين حالاً وبستان حاتم محمّد علي . وهو اليوم قد سدّ لما تراكم فيهِ من الرمال وكان اسمهُ في القديم نهر عيسى

الاخرة يتجوّل مع بعض الاعراب إذا بهؤلاء زعقوا زعقة قائلين : « ها هوذا الزبزب » وما كاد « الاخ أجيد المنتسب الى القديس يوسف » يسمع هذه الكلمات الّا واطلق بندقيتهُ مرّتين فأصابهُ . فأخذ الزبزب يهجم عليهِ فولّى الأعراب مولولين وَالمين . واما الاخ فاقدم عليهِ بقلب قُدَّ من جلمود حتى أصماهُ . وبعد قتلهِ اياهُ جاء الاعراب وهنّأوهُ قائلين لهُ : يكفيك شرفاً وشجاعة لن يقال عنك انك « قاتل الزبزب » (١

٣ (وصف الزبزب) بعد ان رأيناهُ رايَ العين سهل علينا وصفهُ ومعرفتهُ ولم نعد نسمع تلك الحكايات التي يلفقها ارلئك الاقوام الجهلة بخصوص امرهِ وآدابهِ واكلهِ وشرابهِ . فالزبزب من الحيوانات ذوات الثُدي من رتبة آكلة اللحوم من فرقة الماشيات على اخمصها . ومن مميزاتهِ الخاصّة بهِ والفارقة اياهُ من سواهُ هي الراجعة الى نظام اسنانهِ . فمجموعها ٣٦ سنًّا . منها ٦ قواطع وناب وذلك في اعلى الفك واسفلهِ و ٨ أضراس في الفك الاعلى و ١٢ في الفك الادنى واشهر هذه الاسنان هي الدَرَنيَّة النابتة في الفك الاعلى وحجمها ظاهر لان عرضها يساوي طولها

والزبزب حيوان ينساح انسياحاً في مشيهِ (٢ وذَنَبهُ قصير لا يتجاوز ٢٥ سنتيمترًا وذلك من عَجبهِ الى طرفهِ السائب . وهذا الحيوان ضخم الرقبة ومحيطها ١٧ سنتيمترًا ويداهُ اطول من رجليهِ وعارٍ يديهِ عن الارض ٢٠ س ورجليه ١٤ س . واظافيرهُ سوداء حادَّة الراس ضخمة عند المفرز وهي ناشبة كل النشوب في اللحم . واظافير يديهِ اطول من اظافير رجليهِ ضعفين وهذا ما يمكنهُ من الحفر بسرعة وبسهولة كليهما وهو

١) هذا الزبزب بعد ان قُتل نُقل الى دار الرسالة في بغداد فاخذهُ الاب بطرس ماري الكرملي وصَبَّرهُ وحنَّطهُ وجعلهُ في معرض الحيوانات الراجعة الى الرسالة وهو يشاهد هناك الآن

وفي ضيعتنا (Hirme) فلّاحون واتفق انهُ بعد ان قُتل الزبزب راى الفلّاحون حُفرًا وآثار مخالب من وراء بيوتهم من الجهة المقابلة لنهر دجلة على طريق السابرين فظنَّ هؤلاء الساكنين ان اخوة ذلك الزبزب جاءت تثأر القتيل منها . فوقع رُعب في قلوبهم لا يشبههُ رُعب ولاسيما نساؤهم ولم يُرد بعد ذلك احد من الفلاحين ان يبقى في ضيعتنا . فاخذتُ في إفراغ روعهم قلم أقُزْ بطائل . فذهبتُ معهم لاتحقّق الامر فرأيتُ حقيقةً عدَّة صغر الّا اني لما فحصت آثار المخالب رأيتها خدش وخمش كلاب لا غير فضحكتُ وسكّنت جأشهم بعد العناء العظيم . وعلى مثل هذا الوجه تتولّد الخرافات وتنشأ وتشيع على الالسنة

٢) قال الجاحظ : الحيوان على اربعة اقسام : مشيٌ يمشي . ومشيٌ يطير . ومشيٌ يسبح . ومشيٌ يَنساح . (اي يزحف على بطنهِ) ومشي الزبزب اقرب الى الانسياح منهُ الى العَدو

اذا حفر سربهُ جعلهُ مدوَّر المدخل . وطول اظافير يديهِ ٥ سنتيمترات وهي خمسة في كل من يديهِ ورجليهِ . ومحيطُ غلظ يديهِ ٢٠ س وطول الحيوان من طرف خطمهِ الى آخر طرف ذنبهِ ٩٧ س . وطولهُ من ترقوتهِ الى عَجب ذيلهِ ٥٧ س . وشعرهُ طويل طول الواحدة يختلف بين ٥ الى ٧ سنتيمترات . وشعر عجزهِ اطول من شعر بقية جسمهِ وشعرهُ يشبه شعر الخنزير متانةً . واذناهُ قصيرتان سوداوان ومختفيتان بين شعر رأسهِ وخطمهُ صغير قصير بالنسبة الى جسمهِ وعيناهُ صغيرتان براقتان . وللانثى ٦ أثدٍ اثنان منها على صدرها والاربعة الباقية على بطنها . وتحت العَجب نافحة مستعرضة الانفراج ترشح منها مادَّة دُهنية سمكة ذَفِرة كريهة الرائحة . وهذه صورتهُ

والناظر الى هذا الحيوان للمرَّة الاولى يتخيل ان قد أُلقي على ظهرهِ دثار ابيض لان اعلى ظهرهِ ابلق وبقية جسمهِ اسود فاحم والبياض يغلب على السواد من جهة صفحتي بطنهِ يمينًا ويسارًا وبخلاف ذلك عند عجزهِ واما بقية ظهرهِ فيكاد السواد والبياض يكونان على تناسب محدود . وهذا البياض وهذه البلقة تمتدّ من اعلى عينيهِ الى آخر طرف ذنبهِ او يكاد . والبلقة لا تتجاوز اعلى يديهِ ورجليهِ وما يوازيها من بقية جسمهِ وطول امتداد البياض ٨٠ سنتيمترًا

هذا وصف الزيزب الذي قُتل في بستاننا . وهو يختلف بعض الاختلاف عن سائر الزيازب المنتشرة في سائر البلاد . ونحن نصفها هنا اتمامًا للفائدة . فنقول :

(انواع الزيزب) اشهر انواع الزيزب هو : الزيزب المشهور وهو المعروف عند الفرنسيس باسم taisson او blaireau commun وفي اللسان العلمي meles taxus او meles vulgaris وطولهُ ٦٠ سنتيمترًا الى العَجب شعرهُ طويل ابلق

وهو على بطنهِ اسود وعلى كل صفحة من راسهِ جُدَّة سوداء. وهو يعيش وحيداً ويأوي الى الغابات الغبياء. يحفر فيها سرَبهُ متعرّجاً وعلى مَيْل في آخرهِ. وطعامهُ انواع الاثمار من الانواع الشبيهة بالعنب واذا لم تقع يدهِ الاثمار اكل الفيران والجرذان والمناجذ والضفادع والحيّات والجراد وسائر الدويبات كالوزغ ونحوها. وهو كثير الوجود في ديار الافرنج واميركة الشمالية يسميهِ اهل هذه البلاد الاخيرة باسم كركاجو (carcajou) وبلسان العلم (meles labradorica). وفروة الزبزب ليست من الجنس الفاخر ويتّخذ السروجيون في بلاد الافرنج جلد هذا الحيوان ليكسوا بها أطواق الدواب او يصنعوا منها سيور العُدَّة. ويُتّخذ شعرهُ لصُنع المُلَيَّات (pinceaux) أو لنوعٍ منها يسمّونهُ زَبْزَبِيَّة « blaireau » يستعملها الحلّاقون لإذابة الصابون ولطخهِ على ما يُحلق من الشعر. وزبزب اميركة اصغر حجماً من سائر الزبازب المشهورة

ومنهُ الزَّبْزَب الهندي واسمهُ عند اهل تلك الديار بالي سور (Bali - saur) وبلسان العلماء (arctonyx) على ان الاختلاف بينهُ وبين سائر الانواع زهيد لا يكاد يُنبأ بهِ وربما سمّاهُ الافرنج (blaireau ursitaxa) اي الزبزب الدُّبّي

والزبزب يحب النظافة محبّة عظيمة. وكثيرًا ما يأتي الثلب ويغلبهُ على مأواهُ فيتّخذهُ لنفسهِ وكيفيّة اخذهِ منهُ ان يوسخ مدخلهُ بالرجيع او بشيء آخر فيهرب الزبزب ولا يعود يرجع اليهِ. وهذا الحيوان يقضي ثلاثة ارباع حياتهِ مختفيًا في وجارهِ ولا يخرج منهُ الّا ليلًا والذكر يعيش بعيدًا عن الانثى وكل منهما في مكمن وتلد الانثى ثلاثة اجرية او اربعة وذلك في الصيف والزبزب اذا أُخذ صغيرًا وربّي تربيةً يألف الانسان إلفًا غريبًا فيصبح وديعًا حليمًا ودودًا متعلقًا بحبّ صاحبهِ ويأكل كل ما يقع بيدهِ كالكلب. وقد فعل هذا الفعل احد تلاميذ المكتوب في البصرة قبل سنتين فنجح

وفي باجكة ومقاطعة الأردين الفرنساوية يلتهي الناس بان يجمعوا بين الكلاب والزبازب في مَيْدانٍ محوطٍ فتتهارش وتتحارب وتتعاضّ حتى تنهك قواها او تموت

وصيد الزبزب من أخطر الصيد على الكلاب والناس. ولما كان الزبزب لا يستطيع الحرب لقصر يديهِ ورجليهِ بالنسبة الى كثافة جسمهِ فاذا هاجمتهُ الكلاب اضطجع على ظهرهِ ودافع عن نفسهِ الى ساعة موتهِ وذلك باظافيرهِ الطويلة القويّة

وباسنانه الحادَّة. وفلاحو الافرنج يصطادونهُ بان يُضروا الكلاب به ثم يقبضون عليهِ بشعب طويل اليد فياخذونهُ حيًّا. او انهم يضربونهُ بالهراوي ضربًا اليمًا على رأسهِ حفظًا لجسمهِ وفروتهِ من التخريق

٥ (منافعهُ الطبيَّة) وكان الاقدمون يستعملون كثيرًا دهنهُ لبعض الامراض العضليَّة واما اليوم فقد بطل استعمالهُ. وكذلك كان يفعل العرب واليونان والرومان. قال في التذكرة: «هو حارّ يابس في الثالثة اذا لم يأكل الميتة كان طيّب اللحم يحلل الرياح الغليظة ويمنع تكاية البرد ويُذهب البلغم وان اكلها صارت رائحتهُ زفرة سمكة ويصير قليل النفع وفروتهُ تسكن وجع المفاصل والنقرس والجذر والرعشة.» اه

٦ (اسماؤهُ عند العرب ومعانيها واصل اشتقاقها) اسمهُ المشهور في العراق عند الحضر من اهله: الزربب او زربب القبور لانهم يقولون ان الزربب كثيرًا ما يحفر قبور الموتى لاكل الجثث اذا لم يحصل على طعامهِ وذلك اذا كان في البادية او في الفلاة. ومنهُ خوف اهل بغداد منهُ. واما لفظة الزربب فهي ماخوذة من مادة ز ب ب التي تدلّ على كثرة الشعر ومنهُ الأزبّ والزبّاء والزبب. واما سائر اسمائهُ فان الاعراب عندنا يسمونهُ ايضًا الغُرَيراء ويلفظونها الغُرَيرة والاسم مشتق من مؤنث الأغرّ وسمي بذلك لان الاغرّ ما كان من الخيل في جبهتهِ غرَّة والحسن والابيض من كل شيء والحال قد قدمنا ان ظهرهُ ابيض وكذلك اعلى راسهِ الى قريب من عينيهِ فاسم الغريراء لا يخلو من وجه فصيح في تخريج معناه (١. وقد قال الشاعر واصفًا اياهُ:

لهُ من الليث ناباهُ ومخلبهُ ومن غرير الظباء النحر والجيدُ

وبعض العرب يسميهِ الطَّبَرة كما ذكرهُ صاحب الكامل ونقلناه عنهُ في صدر المقالة. والطبرة قصر كلمة «طابرة» من طبَرَ اي اختبأ لانهُ يختفي تحت الارض مدة تساوي ثلاثة ارباع حياتهِ. على ان البعض يظنون انَّ اللفظة هي «طيرة» بالياء المثناة وهذا ايضًا لا يخلو من وجه صحيح للتسمية فيكون اللفظ ماخوذًا من طار بمعنى اسرع

(١) ويجوز ان يُقال في الغُرَيراء: الغُرَيرة بمعنى «ذات الغُرَيرة» من باب حذف المضاف. والغُرَيرة تصغير الغُرَّة وهي بياض في جبهة الفرس قدر الدرهم وكذلك هي في جبهة الزربب

والطيرة تكون مقصورة من طائرة كما ان الطير قصرُ الطائر على ما يقرره بعض اللغويين ووصفهُ بالسرعة اليونان ايضاً فقد سموه (τρόχος) من فعل (τρέχω) اي طار بمعنى اسرع في المشي اسراعاً والمعنى الطائر للمذكر او الطيرة للمؤنث. وقد وردت لفظة الطيرة في بعض نسخ كتاب الكامل لابن الاثير مما يدل على ان هذا التصحيف قديم مشهور

ومن اسمائهِ « الثُّنَاء او الثُّفَا » قال في التذكرة: الزيزب هو المعروف الآن بالثفاء وفي بعض النسخ الثفا (بالقصر) وهو حيوان اعظم من السنور يبلغ في حجم الكلب الكبير كثير الصوف مخطط الوجه ناعم يوجد في البر وقرب الغار ويصول بنابهِ على ضعف فيهِ. » اه. وقال في حياة الحيوان الكبرى للدميريّ (١ : الثُّنَا بالثاء المثلثة وبالفاء والالف في آخرهِ : السِّنَّور البَرّيّ وهو قريب من الثعلب على شكل السِّنَّور الاهلي اه. قلتُ : وفي هذا الكلام نظر لان الثُّفَا (اذا كانت هذه الرواية صحيحة) هو حيوان كسِنَّور البرّ وليس بهِ كما رأيت مما تقدَّم ايضاحهُ. واما اللفظة فانا نجدها في غير كتاب الدميري والتذكرة ونظن ان الرواية الصحيحة هي الثُّفَة او الثُّفَّة وكلاهما من اسماء الزَّيْزب. اللهمَّ الَّا ان تكون اللفظة من ثَفَاهُ يثفوهُ بمعنى تبعهُ لانهُ يتبع صاحبهُ اذا ادَّبهُ وثقَّفهُ. على اننا نختار رأي التصحيف. قال الدميري في التفة : « التفة ويسمَّى عناق الارض والقُنْجل (كذا في الاصل المطبوع) . وفي كتابنا المخطوط الذي تاريخ كتابهِ ٨٧٠ هـ — ١٤٦٥ م القُنْجل بجيم او القُنْحُل بحاء وهما بمعنى العبد. وكل هذه الروايات غلط والاصح القُنْجل او القُنْحُل بنون او بناء موحدة فوقية ثم نون ثم

(١ رواية نسختنا الخطية هي « الثناء » هكذا مضبوطة بثاء مثلثة مضمومة وبناء موحدة مفتوحة والف ممدودة » ونسختنا قديمة تاريخ كتابتها سنة ٨٧٠ قد كُتبت ٦٢ سنة بعد وفاة الدميري مؤلفها وعلى النسخة التي خطَّها المؤلف نفسهُ وقد قرئت وصُحِّحت على عدَّة علماء وخطُّها جلي بديع مضبوط في اغلب المواطن. والصفحة الاولى مذهَّبة ابدع تذهيب وهذا نصّ ما ورد فيها: « المجلَّد الاوَّل من حياة الحيوان الكبرى. — تأليف الشيخ الامام العالم العلامة كمال الدين الدميري رحمهُ الله. — برسم الخزانة الشريفة الملكية المؤيديَّة الشهابيَّة اجزل الله تعالى عاقبتها ». وقد تملَّك النسخة جماعة من اكابر العلماء كما يُرى ذلك من حقوقهم واسمائهم التي تُقرأ في الصفحة الاولى المذهبة المذكورة. وفي عدَّة مواطن من الكتاب فوائد جمَّة علَّقها العلماء بالفاظ وجيزة تدلّ على كثرة الايادي التي تداولت هذه النسخة البديعة النادرة المثال

جيم) نوع من السباع نحو الكلب الصغير على شكل الفهد وصيده في غاية الجودة واللاحة . وربما واثب الانسان فيعثره ولا يطعم غير اللحوم . وربما صاد الكركي وما قاربهُ من الطير فيفعل به فعلًا حسناً . وقد وصفهُ الناشئ في ابيات منها :

حلو الشمائل في اجفانهِ وطَفٌ ... صافي الادم هضيمُ الكشح معسودُ
فيهِ من البدر اشياءٌ توافقهُ ... منها لهُ سُفعٌ في وجههِ سُودُ
كوجهِ ذا وجهُ هذا في تدوُّرهِ ... كانهُ منهُ في الاجفان ممدودُ (١
لهُ من الليث ناباهُ وخلبتهُ ... ومن غرير الظباء النحرُ والجيدُ
اذا رأى الصيدَ أخفى شخصهُ دنفًا ... وثابهُ باقتناص الطير مزؤودُ (٢

وقال في حكمهِ : يُحرم اكلهُ لعموم النهي عن اكل كل ذي ناب من السباع . وقال بعض اصحابنا : انهُ السنور البريّ وانهُ قريب من الثعلب . وهو على شكل السنور الاهليّ . وفي حكمهِ وجهان : اصحهما التحريم لانهُ يأكل الفار . وقال في الامثال : قالت العرب : أغنى من التفّة عن الرُّفّة . والرُّفّة التبن . والاصل فيهِ فهة وتفهة . قال حمزة (وفي مخطوطنا : خمرة) وجمعها تفات ورفات قال الشاعر :

غنينا عن حديثكمُ قديمًا ... كما غني التُّفات عن الرفاتِ

ويقال ايضًا : استغنت التفة عن الرُّفّة . وذلك ان التفة سبع (٣ لا يفتات الرفة اصلًا وانما يقتدي باللحم فهو يستغني عن التبن . والمعروف في التُّفّة والرُّفّة . بتخفيف الفاء . وقال الاستاذ ابو بكر : هما مشدَّدتان وقد اورد الجوهري في باب الفاء فقال التفه والرفه . وفي الجامع . مثلهُ الّا انهُ قال : ويخففان . واما الازهري فانهُ اورد الرفه في باب الرفت بمعنى الكسر . وقال ثعلب عن ابن الاعرابي : الرفت التبن . وفي المثل : اغنى من التفه عن الرفت بالتاء . قال الميداني : وهذا من اصحّ الاقوال لان التبن مرفوت اي مكسور . اه .

---

١) وفي نسختنا الخطيَّة مَقْدُودُ ٢) وفي مخطوطنا : مَرْؤُودُ

٣) ان وهم العرب في اكل هذه الدابة الوحشية مبني على كونهم اعتبروها من السباع . وهم يعتبرون سبعًا كل ما كان ذا ناب (راجع الدميري في مادة الخنزير البريّ) ولما كانوا يعتقدون ان السباع لا تاكل الّا اللحوم نشأ هذا الوهم فيهم بخصوص الزربب . على ان الاصحّ ان هذا الحيوان هو من السباع والبهائم معًا . اي انهُ من الحيوانات التي سمّاها الجاحظ « المشتركة » فهي تاكل العشب وما ضاهاهُ كما تقدَّم القول في طعامهِ . كما تأكل ايضًا صغار الدوييات على حدّ الخنزير وما كان من فصيلة الزربب نفسهِ . وعلى كل حال فالتُّفّة لا تفتات الرفة البتّة

وقال في عناق الارض: دويبة اصغر من الفهد طويل الظهر يصيد كل شيء حتى الطير وهو التفة الذي تقدم ذكرهُ في باب التاء المثناة فوق. وقال في نهاية الغريب: قال قتادة: عناق الارض من الجوارح دابة وحشية اكبر من السنور واصغر من الكلب والجمع عُنوق. يقال في المثل. لقي عناق الارض وأُذُني عناق. اي داهية يريد انها من الحيوان الذي يُصاد به اذا عُلِّم (١. اه

ولم يذكر شيئاً عن مادة (النُّنجل) او (القُنجل) او (القُنحُل) او (النُّنجل) وقد قال صاحب تاج العروس: القُنجُل اهملهُ الجوهري. وفي اللسان: هو عناق الارض. ويُروى بالعين. وقد تقدم عن ابن خالويه. وقد ذكر صاحب التاج العُنجل بالعين والنُّنجل بالغين المنوطة بهذا المعنى ايضاً

وقال المرتضى في عناق الارض: دابة صيَّادة يقال لها التفة والعنجل وهي اصغر من الفهد طويل الظهر. وقال الازهري: فوق الكلب الصيني(٢ يصيد كما يصيد الفهد ويأكل اللحم وهو من السباع. يقال انهُ ليس شيء من الدواب يُؤَبِّر اي يُعفّي اثرهُ اذا عدا غيرهُ وغير الارنب. وجمعهُ عُنوق ايضاً. عجيبتهُ: سياه كوش. قال: وقد رايتهُ بالبادية وهو اسود الراس ابيض سائرهُ ». اه

وقال صاحب التاج في التُّفة: دويبة كجرو الكلب. قال: وقد رأيتها او كالفارة

---

١) لا نرى كيف ان الكاتب استنتج هذه النتيجة وهي: « يريد انها من الحيوان الذي يُصاد به اذا عُلِّم » فما هما المقدمتان الموطئتان لهذه النتيجة. وقد نقل هذا الكلام الغريب غير واحد من الكتبة على ما فيهِ من ضعف الاستنتاج. نعم ان هذا الحيوان اذا عُلِّم الصيد تعلَّمهُ. لكن بين ان تكون النتيجة هذه وبين ان لا ينتجها شيء فرق عظيم. فليحفظ

٢) ورد في تاج العروس في مادَّة زأن: « كلب زِئْني بالكسر اي قصير ولا تقل كلب صِئْني كما في الصحاح » اه. وهكذا قال ايضاً سائر اللغويين. والحال ان صاحب التاج نفسهُ يقول هنا « كلب صيني » وكذلك قال سائر اللغويين. والجاحظ من اعظم اللغويين والعلماء قد قال في كتاب الحيوان (٣: ٦٥): « وقد كان في بني ضبَّة كلب زِئْني صِئْني يُسرَج على راسهِ فلا ينبض فيهِ نابض » فقد جمع بين اللفظتين. والخلاصة انهم قالوا ويقولون كلب صيني كما يقولون كلب زِئْني (basset) لاسيما الاعم قد يبدلون من الزاي صاداً ومن الصاد زايًا ومنهُ: جاءتنا زُمْزَمَةٌ من بني فلان وصَمْصَمَة. ونشزت المرأة ونشصت. والشرز والشرس وهو الخلط الخ

وهذا نقلهُ ابن دُرَيد (١ . وقد انكرهُ الاصمعي (٢ . وقال الصاغاني: هذه الدابَّة من الجوارح الصائدة وكانت عندي منها عدَّة دوابّ وهي تكبر حتى تكون بقدر الخروف حسنة الصورة (٣ ويقال لها « الفنجل » و« عناق الارض » . فارسيتهُ: « سِياه گوش » . وبالتركيَّة « قَرا قُلاغ » (٤ وبالبربريَّة « بنه كدود » ومعنى الكل : « ذو الآذان السود » واكثر ما تجلب من البرابرة وهي احسنها واحرصها على الصيد . قال : واول ما رأيت هذه الدابة في مَقْدَشُوه » اه

اما سبب تسمية التفَّة بعناق الارض فلأن العناق هو الانثى من اولاد المعز والتفة شبيهة بعض الشبه للعناق . وسبب تسميتهِ بالتُّفَّة مأخوذ اما من التُّف وهو وسخ الظفر ومن باب التوسع مطلق القذر كما قالوا : تُفًّا لك : اي قذرًا وبعدًا . وذلك لوسخ كريه الرائحة عند منبت ذنبهِ كما رايت . او من التَّفَه وهي القلَّة والخساسة لقلَّة اعتبارهِ وخساستهِ فيقال في الاول التُّفَّة بتشديد الفاء وفي الثاني التُّفَة بتخفيفها وكلاهما فصيح .

واما الفُنْجل وقد ذكرِ لها ابن سيدة في المخصص (٨ : ٧٤) من الروايات الحُنْجُل والحُنْجُل والفُنْجُل . وفي التاج : الفُنْجُل ايضًا فكلها راجعة الى الفُنْجُل من الفَنْجَلة وهي تباعُد ما بين الساقين والقدمين . وهذا التباعد موجود خلقةً في التفَّة ولذا ترى مشيتهُ ضعيفة وهي الفَنْجَلة والفَنْجَلى . والمادَّة الرباعيَّة فنجل مأخوذة من فَ ج ج ومنهُ الفَجَج وهو انفراج ما بين الرجلين عند المشي . ثم زادوا اللام وهي من الحروف الذُلق لزيادة معنى الخارة فَجَلَ الشيء : استرخى . والأفجل : المتباعد ما بين القدمين .

---

١) كذا وردت في جميع دواوين اللغة عند نقلهم كلام ابن دريد اي بالفاء الموحَّدة بعدها الف هاوية او مهموزة ثم راء بعدها هاء . والاصح كالقارة بقاف مثنَّاة فوقيَّة يعني الدُبَّة . وقد رأيتَ ان علماء الافرنج كانوا يظنُّون ان الزبزب نوع من الدبّ حتى انَّهم سمّوا نوعًا منهُ الدُبّ الزبزبي او الزَبْزَب الدُبّي (ursitaxa) فلا غُبارَ على كلام ابن دُرَيد وكان من العلماء الأعلام . فاحفظه

٢) قلتُ : ولا حقّ للاصمعي بعد هذا الشرح الظاهر ان ينكر على ابن دُريد قولهُ الصحيح

٣) كذا . وهي قبيحتها . الَّا ان الاذواق لا تكون في الجميع على اتفاق

٤) قلتُ : والآن يكتبها الترك قره قُولَق أو قُولاق

ثم زادوا النون فزاد في المعنى الرخاوة والضعف في المشي . فتأمل في اسرار اللغة العربية

واما ما يُنتقَد على من كتب على هذه المادَّة او هذا الحيوان فما عدا ما ذكرناهُ ما جاء في محيط المحيط في مادَّة ع ن ق. قال : وعناق الارض دابّة ... يُقال لها التُّفة مفرد التُّفات . والاصحّ التُّفَّة مفرد التفهات . وتابعهُ في هذا الغلط الاب بلو اليسوعي في معجمهِ الفرنسي العربي . وذكر صاحب دائرة المعارف الزَّربب ونقل كلام صاحب العُبَاب في قولهِ : الزربب دابّة كالثَّور . ثم قال : « قال ابن الاثير في تاريخهِ الكامل في حوادث سنة ٣٠٤ » الى آخر ما هناك من الكلام وذكر اسمه (zabzab) كما في العربيّة ولم يَعتنِ لمعرفة هذا الحيوان وما لهُ من الاسماء الكثيرة عند العرب وكذا فعل القزويني كما مرَّ بك . وذكر قزويرسكي التُّفَّة وفسرها بالفرنسوي : (karakal, chat cervier) وهو غلط . وعلى هذا المثال ذكرها في عناق الارض والغلط واضح والاصح (blaireau) واما اللغوي الانكليزي لين (Lane) فمن بعد ان قال ان عناق الارض هو بالانكليزيّة (badger) وباللاتينيّة (ursus meles) زاد : « والظاهر أن هذه التسمية لا تنطبق كل الانطباق على ما يأتي من أوصافه وهذا كلامهُ بالانكليزيّة : (But this application does not well agree with the following descriptions)

ثم نقل بعد ذلك ما خبط العرب فيهِ من الوصف . وقد بينا ان ذلك لا يُعتدّ بهِ . ولا سيما بعد ان ذكروا ما يقابلهُ في الفارسية والتركية والعبرية من الالفاظ الدالة عليهِ . فاذًا لا اعتداد بما قالهُ « لين » من الاقوال المشيرة الى العدول عن فكرهِ الاول . اذا اسمهُ بالانكليزية (badger) لا غير

وقال صاحب البرهان القاطع في « سياه كوش : نوع من الحيوان اسمهُ بالتركية « قره قولق » تتخذهُ ملوك ايران للصيد . ويلازم الاسد كل الملازمة ويجاريهِ عدوًا » اه . وهذا المؤلف زاد وهمًا على وهم . فكون اسمهُ « قره قولق » امر معروف . واما كون ملوك ايران تتخذهُ للصيد وانهُ يلازم الاسد كل الملازمة ويجاريهِ عدوًا » فهذا لا ينطبق عليهِ بل يصح على الفُرَاتي او النمر او البيد وبالفرنسيَّة : (tigre royal ou ordi-

(naire فأين التُّفَّة وهي العناق عناق الارض او السياه كوش من البر او الفرانق او البريد . فالفرق عظيم

وقال المذكور في مادة « پَرْوانَك » وهو الفُرانق : پروانك على وزن أَيوانَك حيوان وحشيّ اسمهُ بالتركية « قره قولاق » يتقدَّم الاسد بين يديهِ والوحوش اذا سمعت صراخهُ تنطر قدوم الاسد فتحيد عن سبيلها الى طريق آخر واذا بقي شيءٌ من صيد الاسد يأكلهُ هذا الحيوان اه تعريباً . فمن هنا ترى ان المؤلف خلط جملة امور خلطاً شنيعاً . فالمسمّى قره قولاق هو حقيقة التفة لكن التفة لا تتقدَّم الاسد ابداً بل تخافهُ فالذي يتقدَّم ويصيح بين يديهِ هو الفرانق اي البربر كما صرَّح بهِ صاحب شفاء الغليل وغيرهُ من اللغويين والعلماء لكن البربر لا يتدنَّى الى اكل ما بقي من صيد الاسد بل عند الحاجة يهاجم الاسد نفسهُ . فاين هذا من تحقيقات العلماء

وقال في النهاية : عناق الارض من الجوارح هي دابة وحشية اكبر من السنور واصغر من الكلب والجمع عُنوق وفي المثل : لقي عناق الارض وأُذُني عناق اي داهية يريد انها من الحيوان الذي يُصطاد بهِ اذا عُلِّم . اه

قلنا : ان كلام العرب لقي عَنَاقَ الارض وأُذُني عناق للدلالة على الداهية كلام يُشعر ان العرب كانت منذ القدم تخاف هذا الحيوان لصولتهِ وبأسهِ ومنهُ كلامهم المأثور . فليس اذاً اهل بغداد اول من خافهُ . ومثل صاحب النهاية قال صاحب الدرّ النثير

واما صاحب سهر الليال فقد قال في التُّفَّة دويبة كجرو الكلب او كالقارة . اه . وقد رايت سقط هذا القول . فالتفة اكبر من جرو الكلب فكيف لا تكون اكبر من القارة او كالقارة . وقد مرَّ بك ان صحيح الرواية ان التفة هي كالقارة بقاف مشناة فوقية اي كالدُّبَّة . ومن العجب ان احمد فارس الشدياق لم يثبت صحة هذا التفسير او التأويل وهو مشهور بتدقيقهِ اللغوي وتتبع اللغويين في خبايا محارزهم

وقال صاحب الاوقيانوس : الزبب : على وزن عَنْبَب دابة وحشية اسمها پورصوق بالتركية وشكّار بالفارسية وهو عدوّ الاسد وينتخ ويتنفش عند الهاجة . » اه . فقولهُ « اسمهُ بالتركية پورصوق وبالفارسية شكار » فصحيح اذ يصدق ذلك على التفة او عناق الارض . واما قولهُ : « وهو عدو الاسد » فالواقع يخالف هذه الرواية . وقد مرَّ ان عدوّ الاسد هو البربر او الفرانق او البريد

وقال عاصم افندي في مادة الغرانق: الغرانق على وزن عُلابط الاسد. ويأتي بمعنى البريد وهو قاتل الاسد واسمهُ بالفارسية بَرْوانك ولا يمشي بين يدي الاسد ويُنذر الوحش به... قال المترجم (يعني مترجم القاموس وهو صاحب الاوقيانوس اي عاصم افندي) ان صاحب البرهان يفسر البَرْوانك بكلمة قره قولاق. اه المراد من قتله. فانظر كيف ان المؤلفين لا يتفقون في تعيين الالفاظ الاعجمية للالفاظ العربية لجهلهم علم الحيوان والاصح ان قره قولاق او قره قولاق او قرا قلاغ هو نفس البورصوق او البرسوق او البرسوك او البورسق او البورزوق او البورزوق فهي اسماء لمسمًى واحد كما ان الاسماء العربيَّة المتعدّدة لمسمًّى واحد. وكذلك اسمهُ بالفارسيَّة شكّار او شَغار او شَغَر او شَغْر او شغارة ومثلهُ قياوار وقياور. وواهم وفتك. فالمراد بها كلها واحد. وقد اخذنا هذه الروايات واختلافاتها من عدَّة دواوين اموية تركية وفارسية

واما أسماؤهُ العربيَّة فكثيرة نجمعها هنا وهي: الزَّبزب (١ والغُرَيْرُ والغُرَيْرَة (٢ والغُرَيْراء (٣ والطَّبَرَة. والطَّيْرَة. والتُّفَّة. والتُّفَة. والشُّفَا. والشُّفَاء. والقُنْجُل. والقُنْجُلة.

---

١) الغُرَيْر وردت في كتاب نظام الملتات في سلسلة ذوات الفقرات للدكتور جورج بوست الاميركاني في الجزء الاوّل من طبعة ١٨٦٩ ص ٤٣ قال: عناق الارض الاعتيادي (يليس فولجاريس) وهو الغُرَيْر. قلت ولعلَّ اللفظة محرّفة عند بَدْو ديار الشام او عند مواشيهم. والّا لما كان يقول: «وهو الغُرَيْر» ايزيد في تعريفه. والغُرَيْر تصغير الاغرّ على التفخيم كما قالوا في احمد: حُمَيْد. فيكون لفظ الغُرَيْر للذكر والغُرَيْراء والغُرَيْراء للانثى والتسمية توافق المسمَّى اصطلاحاً ووضعاً

٢) الغُرَيْرة ذكرها دوزي في كتابهِ ملحق المعاجم العربيَّة للدلالة على السنجاب تبعاً لبطرس القلعي (Pedro d'Alcala) ولا ندري كيف توافق هذه التسمية للسنجاب

٣) ذكر دوزي الغُرَيْراء قال: «ضَرْبٌ من الخراطين (Espèce de ver de ter-re) وهو يُترجم قول احد العرب واسمهُ علي بن محمد ابي الفتح ابن دُرَيْم الموصلي الدوني في بغداد سنة ٦٦٣ هـ ولهُ كتاب «منافع الحيوان» موجود منهُ واحد خطيّ في مكتبة الاسكوريال وهو يعرّف الغُرَيْراء بقولهِ: «الغريراء وهو دابة لهُ شعر» يريد بذلك: كثير الشعر. والّا فكل الدوابّ لها شعر. فظن دوزي ان معنى دابة هنا بمعنى «دودة الارض يعني الخراطين» والحال ان هذا الكلام من قول المؤلف. وعندنا ان الغُرَيْراء في كتاب منافع الحيوان هي نفس الغريراء عند اهل البادية المشهورة بزَبَبها اي كثرة شعرها اي الزبزب. وليس هذا اول غلط غلطهُ دوزي فان اغلاط كتابهِ تُعدّ بالمئات لا بالعشرات. واملنا نتقدهُ يوماً خدمةً لاهل العلم والادب

والنُّنجُل . والتُّحُل . والعُنجل . وعناق الارض . والحُنجَل . والحُنجُل . واغلبها مستدركة على اصحاب المعاجم وقد استخرجناها من عدَّة كُتب كما تقدَّم نقلهُ وتفصيلهُ في محلِّهِ (١ ثم ان الزبزب يسمّيهِ بعض اهل بغداد في عدَّة محلَّات المدينة البَزَبَز بالقلب

وخلاصة تعريفهِ : انَّهُ حيوان من ذوات الثدي من رتبة اكلة اللحوم من فصيلة العَزَة (mustélidées) يشبهُ بصورتهِ القَارَة اي الدُّبَة . وقد يأكل غير اللحم عند مسيس الحاجة (٢ . هذا ما اردنا تحقيقهُ خدمةً للعلم وابنائهِ ولاسيما خدمة للُّغة العربية التي يكثر في الفاظها العلمية الابهام لقلَّة التدقيق والتمحيص في الكلام . وربُّك وحدهُ هو العليم العلَّام

---

١) قد تكثر الالفاظ عند العرب لمسمًّى واحد وهم يعرفون كل اسم على حدةٍ وتعريفًا يختلف بعض الاختلاف او كل الاختلاف عن سائر معاني الالفاظ المرادفة فيوهمون بعملهم هذا ان المعرَّف هو حيوان جديد او حيوان آخر غير معروف او هو غير المعروف باسم آخر . ولهذا كثر الوهم في الالفاظ العلميَّة . ولو علموا العلم الصحيح لآثروا النظر على اللقطة المشهورة بدون تعريف جديد

٢) ومما يجب حفظهُ هو ان زَبزَب العراق يختلف عن سائر زبازب البلاد . مما تقدَّم وصفهُ في صدر المقالة ولهذا نسميهِ علميًّا الزبزب العراقي : (meles aut taxus mesopotamius) واختلافهُ عن سائر ابناء جنسهِ ان زبزب العراق أكبر وليس في وجههِ جدَّتان بيضاوان . ويزيد الفرق اذا ما عرفتَ وصف زبزب ديار الافرنج . قال الدكتور جورج بوست : « لونهُ سنجابي مائل الى الاحمرار الَّا وجههُ وبطنهُ فان الاول منهما ابيض ولهُ خط اسود ممتدّ من الانف الى ما وراء الاذن على كل من الجانبين والبطن اسود . طولهُ نحو قدمين ونصف »

ومما يحسن ذكرهُ هنا تفكهةً للقارئ ما حكى المذكور عن محبَّة هذا الحيوان لابناء جنسهِ قال : ان الغُرَير شديد المحبَّة نحو جنسهِ قال احد الصيَّادين : قتلتُ غُرَيرًا فاوصلتُ جثَّتهُ حبلًا لاجرَّهُ الى ضيعتي واذا بصيحة وظهر غريراء آخر قرميتهُ بحجارة لكنَّهُ دنا مني وابتدأ يلحس رفيقهُ الميت فكفَّيتُ عن رجمهِ وطفقتُ بجرّ الميت كما تقدَّم . واذا بالغرير الحيّ امسك باذن الميت ومدَّ ذاتهُ عليهِ وهكذا اخذ يجرّ الى وسط الضيعة ولم ينتبه الى تراكم الناس والكلاب . فلم يزل ملتصقًا بهِ حتى اماتوهُ فاحرقوا جسمهُ زاعمين انهُ جنّي